مقدمة

كثيرة هى تلك القضايا التى يصح أن توصف بأنها خلافية مزمنة، فما إن تثار إحداها، إلا ويهم كلٌّ من الفرقاء بالانصراف، موليًا ظهره للآخر، غير آبه ولا عابئ بما يقول. فكل منا له قلاعه وأبواقه، وكل يرى أن الآفة تكمن فى الآخر وحده، دون أن يلتفت إلى نفسه.

والخلاف هو سُنة الله فى خلقه، إلا من رحم، قال تعالى: ﴿**ولَوْ شاءَ ربُّكَ لجعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحدةً ولا يزالُونَ مُختلفين ﴿١١٨﴾ إلاَّ من رَّحِمَ ربُّكَ ولذلكَ خلقَهُمْ وتَمَّتْ كلمةُ ربِّكَ لأَمْلأَنَّ جهَنَّمَ منَ الْجنَّةِ والنَّاسِ أجْمعين**﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] إلا أن هذا لا يبرر التخاصم والتخندق، وليس هذا من قبيل الدعوة إلى «النسبية»، وإنما هى دعوة إلى ألاّ تُذهلنا أقدار الرجال عن أقدار الكلام، وأن نعرف الحق بذاته وليس بأهله فقد يوافقونه فى مواضع ثم يخالفونه فى موضع، وأن نعير أسماعنا لأصوات الكلمات، لا لأصوات أصحابها.

وبالنسبة لهذه الدراسة، نجد أن هناك انقسامًا حول حقيقة السحر بين منكر، ومُثبت، ولكل فريق حججه على ما سيأتى بيانه. وتحاول هذه الدراسة أن تقف على حقيقة السحر، بالبحث فى ماهيته (كيفيته وتأثيره).

والحق أن قضية السحر تقع ـ وبكل أمانة وصدق ـ بعيدًا عن نطاق اهتمامات كل مسلم، أو هكذا يجب أن تكون، إلا أن اختيارها للبحث والدرس جاء مستندًا إلى مبررين، **أولهما**: أن الإنسان إذا ما فقد اتزانه، انقلبت اهتماماته، رأسا على عقب، وماج بعضها فى بعض. وهذا ثابت بما لا يتطلب برهنة، ويصدق على الفرد والجماعة والأمة. فلا بأس بالقول ـ إذن ـ بأن البحث قد جاء فى سياق رد الفعل.

وأما الثانى: هو الظن ـ والرجاء بتحقيقه ـ بأن البحث جاء محاولة اجتهادية لتناول موضوع السحر فى إطار ومنهاج مختلفين. فهذا تحديدًا هو مكمن الادّعاء بأهمية هذا البحث وجدته. وهو ما سيضطلع مدخل الدراسة بتوضيحه فى الصفحات المقبلة. فعسى أن يكون البحث صادقًا مع نفسه، فى ادّعائه التزام هذا المنهاج.

ونسأل الله ألا نكون ممن يعلمون الباطل فيصرون عليه، ولا ممن زُين لهم سوء عملهم فرأوه حسنًا، وأن نكون بحق من أصحاب النفس اللوامة.

* * *